مصطفى سويد (أبو درويش) الذي لقّبه حبيب كحالة في المضحك المبكي «ابن الشعب»

أنس تللو

من الظرفاء من تستمع إليه فيعجبك حديثة ويجعلك تضحك من القلب، لكن الظريف بحق هو الذي يجعلك لا تملُّ من مجلسه أبداً، بل هو الذي يتمكن من أسر قلبك إليه حتى ولو لم يأت بجديد، لأن مجرد الاستماع إليه مهما كان نوع الحديث الذي يرويه يبعث على الضحك والمرح. أبو درويش سويد كان من الظرفاء النادرين في القرن العشرين، ظرافته تفيض شلالاً من البهجة الرقيقة، يصيب رذاذه كل من يستمع إليه فرحاً ويغمر ماؤه كل من ينصت إليه سعادة...

العدد ١٠٥٦ — الأحد ٢ شباط ١٩٦٤ — السنة الرابعة والثلاثون

سُمعة الحكم..

واجب الصحافة الحرة في الدفاع عنها

رجلٌ تدهشك براعته الفائقة في رواية النكات والطرف دون أن تفتر له شفة أو يبتسم، ويدهشك أكثر أن ترى الناس من حوله تتلهف إلى إعادة الاستماع مراراً وتكراراً إلى الطرفة نفسها، ذلك أنه كان يملك قدرة عجيبة على إعادة صياغة الطرف وإلباسها أثواباً جديدة مبهِرة تحيط الطرفة بهالة متألقة من السخرية المتجددة تجعل المستمع يتمتع بأسلوب الإلقاء وتتوق نفسه إلى الإطار الجديد حتى ولو حوى المعاني نفسها... والسر في ذلك يكمن في أسلوب الرواية ؛ أنه فن الظرافة المبدعة، قلّ من يمتلكها... وقد كان مصطفى سويد (أبو درويش) أحد رعاياها، بل كان من روادها القلائل...

هذه البراعة الفائقة في الإلقاء جعلت أبا مصطفى نديماً لرجال السياسة والشخصيات العامة والتجار، فقد قرّبه أهل المناصب منهم في أواسط القرن الماضي تماماً مثل ما كان الولاة في العصور الأولى يتخذون لأنفسهم وسائل للتسلية من المغنين والمهرجين والظرفاء.

كان مصطفى سويد يروي نوادره متتالية بأسلوب شيق عذب... وقد بلغ من قوة شخصيته وظرافتها أن الأديب حبيب كحالة صاحب مجلة (المضحك المبكي) التي كانت تصدر في دمشق منذ ثلاثينيات القرن الماضي قد اتخذ من شخصية أبي درويش سويد رمزاً لابن الشعب في ذلك الوقت، فكان ينشر صور أبي درويش الهزلية الملونة على غلاف مجلته بأشكال ومواقف شتى، ويضع تحتها تعليقات ساخرة تتناول السياسة المحلية والعربية والدولية.

أبو درويش يعرج في مشيته

كانت ظرافة أبي درويش سويد تدفعه لأن يتخذ من كل ما حوله وسيلة لتقديم النكتة... وقد كانت له قصة مشهورة تتعلق بكونه يعرج في مشيته ؛ تلك العرجة التي كانت تجعله يميل بجسمه كلما مشى يمنة ويسرة، وقد كان لهذه العرجة قصة طريفة جداً، وكان أبو درويش يتفنن في إلقائها فيقدمها كل مرة بلبوس مختلف من الزركشة والبهرجة، حتى لقد غدت هذه القصة عند الناس مثل الأغنية الأصيلة الممتعة يعيد المرء الاستماع إليها كثيراً ولا يملها، لأن الطرب المرافق للاستماع إليها يعطيها في كل مرة معاني جديدة.

ولقد بلغ من رغبة الناس في إعادة الاستماع لهذه الطرفة المتعلقة بالعرجة أنهم كانوا يتحرشون به ويسألونه عن سبب العاهة التي أصيب بها وأدت إلى عرجه، وذلك ليستمعوا منه مراراً وتكراراً إلى تلك الطرفة التي كان يجددها دوماً بأسلوب جديد وجمل منتقاة، وسأحاول الآن أن أصوغ هذه الطرفة كما كان يرويها أبو درويش سويد، ولعلي سأستغرق في ذلك دقيقة أو دقيقتين في حين أن أبا درويش كان يستمر في روايتها نصف ساعة وكان يضيف عليها من حركات وجهه ويديه ووقوفه وجلوسه وميلانه ما يجعل الناظر إليه يشعر وكأنه جالس في مسرح مجهز بالديكور والإضاءة والموسيقا... حركات وإيماءات تسابق أحدث المسارح الحالية. والناس تنظر إليه بعجب مشدودة تماماً كأنها خضعت لعملية تنويم مغناطيسي.

يقول أبو درويش سويد جواباً لسؤاله عن سبب عرجه:

كانت لزوجات الأغنياء والوجهاء في زمن مضى طقوس خاصة في كل أمورهن وتختلف هذه الطقوس عن مثيلاتها لدى زوجات الفقراء والدراويش، من تلك الطقوس الخاصة الطقس المتعلق بحالة الحمل والولادة، فهؤلاء النسوة الغنيات يستدعين القابلة (الداية) عند المخاض، ولكن ليس أي داية... فكما أن لهؤلاءِ النسوةِ الغنيات زوجات الأغوات والبكوات طرقاً مبتكرة في حياتهن ووسائلَ مختلفة عن الفقيرات والدرويشات، كذلك فإنهن يختلفن عنهن في الدايات؛ فالداية لديهن امرأة غريبة.... ربما لأن المولود أيضاً لديهن شأنه غريب...

تدخل الداية إلى البيت بهدوء وتسير في أرجائه بتؤدة وكأنها تحسب خطواتها، ولا تتكلم حتى يُنادى عليها... ثم تدخل إلى غرفة المرأة الحامل التي أتاها المخاض، ولا يدخل معها أحد سوى الأم أو الأخت، ويبقى الأقرباء رجالاً ونساء ينتظرون على باب الغرفة يترقبون قدوم هذه الفرحة البهيجة، وتقوم الداية بتهيئة المرأة للولادة... وبعد أن تتهيأ هذه لاستقبال المولود المنتظر، تبدأ الداية بما يسمى عملية (مناجاة المولود)... وهذه عملية خاصة بالأغنياء وبمن يسمون (الأكابر)، الأكابر الذين يختلفون عن غيرهم في كل شيء، ليس في الطعام والشراب واللباس فقط، وإنما حتى في الحمل والولادة... إذاً تبدأ الداية بمناجاة المولود الذي لم يولد بعد مستخدمة في ذلك أرق العبارات وألطف التعابير، فتقول بلهجة حنونة راقية:

– انزل يا حبيبنا انزل... انزل يا روحي بالسلامة إن شاء الله... تعال تعال ياعيني تعال ميت أهلاً وسهلاً فيك.

ثم تزعم الداية أن المولود يرد عليها بقوله:

– ما بنزل إلا حتى تشتروا لي بستان الباشا.

فتنقل الداية طلبه إلى أهل المرأة الحامل الذين ينتظرون على الباب... وتنتظر حتى يأتيها الجواب بالموافقة، فتقول للمولود الذي لم يولد بعد:

– مو تكرم عيونك يا حبيبي... بساتين الدنيا كلها تحت أمرك.

وحين يسمع المولود وهو في بطن أمه هذا الجواب اللبق يزيد في دلاله وغنجه، فيطلب أيضاً أن يشتروا له مخزناً في سوق الحميدية... فتنقل الداية الطلب لأولي الأمر الذين يهزون برؤوسهم إشارة على الموافقة، فتعود لتقول للمولود:

– لك والله مخازن الدنيا كلها على حسابك... إيه مو تكرم عينك، إنت بتؤمر أمر.

يفرح المولود كثيراً بهذا الجواب فيزيد في طمعه، فيقول:

– أريد أيضاً بيتاً في سوق ساروجة حارة قولي، حيث يسكن وجهاء وأغنياء دمشق.

فتقول له الداية... البيوت كلها تحت أمرك... أنت بس انزل وكل شيء سيكون جاهزاً لك.

وهكذا تزداد الطلبات، وتستمر المفاوضات ساعة أو ساعتين والمولود يتدلل ويبالغ في طلباته والداية تتودد له وترجوه أن ينزل إلى أن يرق قلبه أخيراً وينزل فيستقبله الأهل بالزغاريد والأغاني التي تبدأ بالآهات الطويلة (أوهاااا)...

ويتابع أبو درويش روايته لهذا الكلام فترة طويلة دون أن يضحك أو يبتسم.

يقول: أما أنا فإنني كما تعلمون درويش من أبناء الدراويش، وحين كانت أمي تتمخض بي، طلبوا لها الداية فجاءت إلينا... ونظراً لأني على علم بما يفعله أبناء الأكابر والأغنياء وكيفية نزولهم إلى هذه الدنيا فقد حاولت أن أحذو حذوهم علَّ القابلة تتماشي مع الوضع الذي تراه فتفعل كما تفعل تلك... لكني فوجئت بأن الداية تخاطبني بكلام فيه الكثير من الحزم، فتقول:

– يالله يا ولد انزل خلصنا، بدنا نشوف شغلنا.

فأجبتها كما يفعل أبناء الأكابر:

– ما بنزل، ما بنزل إلا...

وما إن سمعت أنني بدأت أقول (ما بنزل) حتى صاحت بي:

– نعم... لك شو عمتقول ولا... نزل ولا... نزل العين تطرقك.

فحاولت مرة أخرى أن أتكلم لكنها باغتتني بأن قالت:

– تعال نزل ضربة تخلع رقبتك خلع، شو محسب ما عنا شغلة غيرك، هادا يللي كان ناقص والله... تتعلم من الأكابر كيف يحكوا وتصدر لنا أوامر وطلبات.

ثم سحبتني من رجلي بعنف شديد ونزلت إلى الدنيا وأنا أبكي وأصيح من الألم فقد التوت رجلي من جذب الداية لها، وأصبت بالعرج منذ ذلك اليوم.

وهكذا لم تسمح لي الداية بأن أتم كلامي وأذكر طلباتي... لقد فاتني أن الداية عندنا ليست مثل الداية عندهم.

أبو درويش سويد والمرض

ذات يوم مرض أبو درويش فاستدعى جاره الصيدلي ليقيس حرارته وتصادف أن الصيدلي لم يكن موجوداً فحضر معاون الصيدلي، وحين وضع ميزان الحرارة في فم أبي درويش فوجئ أن الحرارة قد وصلت إلى ثلاث وأربعين درجة، وما إن أخبر أبا درويش بهذا حتى انتفض مذعوراً، لأنه من المعلوم أن أعلى حرارة يمكن أن تصل إلى أربعين درجة أو واحد وأربعين، أما أن يتجاوز الأمر ذلك فإن هذا خطر شديد... ارتعب أبو درويش، وأخذته حالة من الخوف الشديد جعلته يظن نفسه أنه قد مات فأغمي عليه وغاب عن الوعي، ولم يصحُ إلا على صوت صديقه الصيدلي الذي علم بالأمر فحضر مسرعاً... ثم تبين أن ميزان الحرارة هو ميزان زئبقي ويحتاج قبل استعماله إلى نفض لكي تنزل الحرارة ثم بعد ذلك يقوم بالقياس، فأخبره الصيدلي أن معاونه لم ينفض ميزان الحرارة قبل الاستعمال، فصاح به أبو درويش قائلاً:

– انفضه... انفضه، الله يلعن يللي نفضك ونفض معاونك.

يمين الطلاق

مر أبو درويش من أمام جماعة فسلَّم عليهم فلم يردوا عليه... فامتعض، وأقسم يميناً بالطلاق ثلاثاً ألا يسلم على أحد طوال هذا اليوم...

ثم وفي المساء أراد أن يصلي، ولما وصل إلى نهاية الصلاة صار وقت السلام، فكيف يسلم وقد حلف يميناً بالطلاق، فما كان منه إلا أن التفت إلى اليمين وإلى اليسار وقال:

– مرحبا يا شباب.

وبعد: على الرغم من أن أبا درويش قد توفي منذ ثلاثة وستين عاماً في عام ١٩٥٣ إلا أنه ما يزال طعم طرائف حكاياه إلى اليوم تحت أضراس من سمعوه في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي...

برجك اليوم ٥/٢٢

نجلاء قباني

ركز في إيجابيات وضعك المهني وكثف جهودك لتجد في آخر اليوم أنك قمت بالكثير فأنت من الأشخاص الذين يصرون على تحقيق أهدافهم مهما كانت المعوقات.

أنت تمتلك قوة إقناع جيدة وكلمة مؤثرة وأصدقاء يدعمونك ويساعدونك والظروف حولك مساعدة والمحيط يدعمك ويعزز من ثقتك بنفسك وبقراراتك.

تتأرجح بين الأمل واليأس لأمر يستجد في حياتك العاطفية أو غيرة أو شك وصدقني كلّ ما تحتاجه هو المزيد من الصبر ولا تتخذ قرارات حاسمة لأنك عصبي فقط.

يوم للعمل بامتياز لدرجة أنك تذهب إلى عملك باكراً وتعود متأخراً وقد يرافقك شعور بأنك تعمل وحدك من دون مساعدات فحاول طلب المساعدات كي لا تصل إلى الإرهاق الجسدي.

تبرزمواهبك وتفردها على الطاولة وتناقش في الفرص الموجودة وفق إمكانياتك وخاصة أنك تبتعد عن التصرفات العشوائية وقد تضع خططاً مستقبلية لنيل ما تتمنى.

لا تراكم قلقك لكيلا تنفجر فجأة ولا تتخذ خطوات انسحابية مفاجئة ولن أنكر أن الأمورحولك قد تضايقك قليلاً ولكن قلقك سيكون على أمور تخص الآخرين.

اطرح مشاكلك في هذه الأيام فقد تلاقي فيها إجابات شافية ومصالحات تلزمك وتوضيحات تساعدك وافرح على الصعيد الشخصي ولكن ليس على حساب العمل أو الصحة.

زيادة في الدخل اليوم ونشاط في العمل وإحساس بمحبة الآخرين لك نظم مصروفك فالفرصة مهيأة للخروج من أزمة مالية طالب بحقوقك المفقودة فالحظ يرافقك.

تخرج من قوقعتك وعزلتك وتبتسم في وجوه كل من حولك وتريد إثبات نفسك فالكواكب في أماكن مناسبة تمنحك دقة القرار وصوابية الأحكام والطاقة الكبيرة.

لماذا تعزل نفسك كلما تألمت؟ وتعاقب الآخرين وتعاقب نفسك كلما كانت الأمور على غير هواك؟ فالمحبة ميزة جميلة فيك فلا تلم نفسك على عطائك ولا تلم من تحب.

دعوات وإعجاب وقد تدعم علاقاتك القديمة وترسخها، أنت تجذب العيون إليك وتتعرف إلى أصدقاء ومعارف كثر وتنشغل بأمور اجتماعية في سفر أو في ضيوف.

أنت عصبي ومستعجل للحلول وقد تضطر لفعل أشياء لست راغباً فيها أو تضطرك الظروف لفعلها فدقق في كل الأمور حتى الصغيرة منها وتابع أمورك بنفسك.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١ – مسلسل سوري من بطولة أيمن زيدان.
٢ – ممثل مصري شهير – عبر (م).
٣ – شعوري (م) – من الطيور.
٤ – ضروري (م) – مخلص – تنقل.
٥ – أكيد وحاصل بالضرورة – نصف أشاد – يتوفى (م).
٦ – أحصى – يسوق.
٧ – شريان (م) – نافع – عملة آسيوية.
٨ – للنداء – عقيدة – أعتني.
٩ – جدها في مسجون – هزيل.
١٠ – في السماء – حروف متشابهة – أود.
١١ – حروف متشابهة – هدفي (م).
١٢ – نرتدي (مبعثرة) – قادم – فراق.

عمودي:

١ – مغن سوري – وثاق.
٢ – كلمات بصوت منخفض – من الزهور.
٣ – أشاهدهم – شاعر أموي.
٤ – قنوط – يرجع – متشابهان.
٥ – مكانه (م) – بحر.
٦ – أبدأ (م) – اسم موصول – متشابهان.
٧ – سحب – شريف (مبعثرة) – والدتي (م).
٨ – مدينة فرنسية – من أنواع العلوم.
٩ – يظهر في السماء عند شروق الشمس – تريدها.
١٠ – ملحاح – اكتماله.
١١ – أعداد – يلهو.
١٢ – من الأقارب – مدينة فرنسية – مطيع الوالدين.

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١												
٢										■		
٣							■					■
٤				■				■	■			
٥					■				■			
٦		■	■			■					■	
٧					■					■		
٨			■				■					■
٩	■			■			■					■
١٠				■	■				■			
١١					■						■	
١٢						■			■			

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	ع	ب	ا	س	ا	ل	ن	و	ر	ي	■	ن
٢	ا	س	م	هـ	ا	ن	■	و	هـ	ر	ا	ن
٣	ب	ت	■	■	■	ا	ب	و	ن	و	ا	س
٤	د	ا	ن	و	ب	■	ن	و	ي	ع	■	■
٥	ف	ن	ا	ن	■	هـ	ا	و	■	■	ع	ن
٦	هـ	■	د	ر	و	ب	هـ	■	ل	ا	م	■
٧	د	ب	ي	■	د	ن	■	ب	و	ن	■	م
٨	■	ر	ن	د	■	ي	ي	ي	■	ت	ي	ن
٩	ع	ل	■	ب	ا	■	غ	ر	ا	ب	■	ى
١٠	ت	ي	س	■	ف	ر	ا	ق	■	هـ	ي	ز
١١	م	ن	ى	و	ا	ص	ف	■	ل	■	د	ك
١٢	ة	■	د	ر	ي	د	ل	ح	ا	م	■	ي

كلمة السر

و	ا	ل	ذ	ي	س	ي	ا	ر	ة	و	و
ك	ل	ر	ا	ت	م	ا	م	ا	و	ا	ا
ع	ا	ء	ل	م	ح	ف	ت	ع	ل	ل	ح
ي	د	ي	ض	ر	ا	م	ك	ل	ك	د	ا
ن	ر	ة	ب	ي	ك	ا	ن	ى	ن	ك	ط
ي	ك	ا	ا	ض	ق	ل	ب	ي	ت	ا	ا
ك	ن	ت	ب	هـ	ء	ل	ر	م	ر	ن	ل
ا	ل	ا	م	س	ض	م	ع	ك	د	ك	ط
ا	ل	ذ	ي	ا	ل	هـ	ا	ت	ف	ا	ب
ن	ي	ل	م	ب	ب	ي	ت	ن	ا	ن	ي
م	ن	م	ل	ي	م	ن	ع	ت	ق	ل	ب
و	هـ	ي	ا	ا	ل	س	م	ا	ء	ا	ن

كلمة السر مؤلفة من تسعة حروف: فنان سوري.

(كل الضباب الذي ملأ السماء... في الأمس والذي أحاط ببيتنا... لم يمنع عيني من رؤية سيارة والدك... وهي تقل الطبيب كنت أدرك تماماً أنك مريضة.. ولكن خفت أن ترد أمك على الهاتف كان قلبي معك...)

SUDOKU

		8			5	9		
	1				2	7		
	7			9		3		4
		5		7	1	4		
3					6			2
		1		3		8		
2		4		5			1	
		9	6				8	
		3	8			5		

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

9	7	2	3	8	6	4	5	1
8	5	6	9	4	1	2	3	7
1	3	4	2	7	5	9	8	6
6	1	3	8	9	7	5	2	4
2	8	5	4	6	3	7	1	9
4	9	7	1	5	2	8	6	3
5	2	9	6	1	4	3	7	8
3	6	8	7	2	9	1	4	5
7	4	1	5	3	8	6	9	2

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	١٦/٣٣°	١٤/٢٦°
حمص	١٤/٢٩°	١٢/٢٣°
حلب	١٣/٣٢°	١٢/٢٥°
اللاذقية	١٦/٢٩°	١٥/٢٣°
السويداء	١٠/٢٩°	٨/٢١°
الحسكة	١٨/٣٦°	١٤/٣٤°

من هو؟

فنان سوري: إذا جمعت الأحرف:

١ + ٤: من الأقارب
٥ + ٣ + ٢: حجارة صغيرة
٦ + ٧ + ٨: واحدة قياس كهربائية

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨

الحل السابق: خالد يوسف.